شواهد على التطور الدلالي في اللفظ القرآني

د. تمام محمد السيد
كلية المجتمع العربي – الأردن

يتصل هذا البحث بلغة القرآن الكريم، الذي لايزال وسيبقى موضع اهتمام المسلمين على مر العصور؛ اجتهدوا في إعرابه وبيان عجائبه، وقد انفتح العالم القديم بعضه على بعض إثر الفتوحات الإسلامية؛ فدخل غير العرب في الإسلام، مما أدى إلى اختلاط اللسان العربي، فباتت اللغة العربية في خطر أكيد، وهو ما بعث على النهوض لدرء هذا الخطر، الذي هو – لا شك- خطر على القرآن الكريم، وقد تصدر لهذه المهمة جهابذة من العلماء، آلَوا على أنفسهم حمل الأمانة، فظهرت المؤلفات المتنوعة حول الكتاب الكريم (القرآن)، مشتملة أبحاث العقيدة والتشريع واللغة والأدب والبلاغة والبيان وغيرها من الموضوعات، بما عرف بعلوم القرآن.

وليس هذا بحثاً في القرآن وعلومه، إنما هو دراسة متخصصة في مجال لغويّ، منطلقة من ألفاظ الكتاب العزيز، **إذ إن أي دراسة في اللغة العربية تعطي ثمارها يانعة إذا ارتبطت بالنص القرآني**، فآياته شديدة الارتباط بحياة الناس؛ "فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته، وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحِكَمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم"[1]، فلا فاصل بين اللغة والحياة إذن.

(1) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، (د.ت). المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، (د. ط)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، ج1، ص201.

وما كان يمكن لغير اللغة العربية "أن تكون المهد الذي تنشأ فيه المعجزة الكبرى في تاريخ الإنسانية"[2]؛ فالله أعلم حيث يجعل رسالته. ومن ثم فأرجو أن يكون هذا البحث خطوة في سبيل توضيح مفهوم البيان القرآني، وتقديم أمثلة من الألفاظ التي صنعها القرآن الكريم.

يتناول البحث ألفاظاً، منها جديد من صنع القرآن، ومنها ما ليس بجديد، ولكنها جديدة من حيث دلالتها، إذ منحها القرآن تلك الدلالة في سياقها، "فكل كلمة تأخذ دلالتها من السياق الذي ترد فيه، حيث إن الكلمة المفردة لا تكون مضموناً لغوياً يمكن فهم شيء منه"[3]. ويتناول البحث اللفظ (المصطلح) بالتحليل اللغوي في معاجم اللغة وكتب اللغة. ثم كنت أستشير آراء المفسرين، مستشهدة بالشعر الجاهلي، فإن لم أجد فيه شواهد دالة، عدت إلى الشعر في صدر الإسلام وما بعده مما ورد في الدواوين والمجموعات الشعرية. ومعظم الألفاظ التي تناولها هذا البحث كانت ترد في النص القرآني مرة واحدة، ويمكن أن نطلق على اللفظة التي ترد في القرآن مرة واحدة (اللفظة الواحدة) – إن جاز التعبير– على غرار القصيدة الواحدة. وعندما ترد لفظة مرة واحدة في القرآن، فلا بد أن لها وقعاً خاصاً وارتباطاً خاصاً بأمر محدد.

• **أَبّـاً**:

(أَبّاً) ورد مرة واحدة في القرآن الكريم، في سورة عبس في قوله تعالى:((وفَاكِهَةً وَأَبّاً))عبس/31.

والأبُّ في اللغة: "الكلأ: وهو العشب رَطْبُه ويابِسُه، أو المرعى. قال أبو حنيفة: "سمّى الله تعالى المرعى كله أبّاً... فالأبُّ من المرعى للدواب كالفاكهة للإنسان، قال الشاعر:

(2) حجازي، محمد عبد الواحد، (1987)، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، (ط2)، (د.م)، (د.ن)، ص 10.

(3) أبوعودة، عودة خليل. التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، (ط1)، الزرقاء، الأردن، مكتبة المنار، ص517.

جِذْمُنـــا قَيْـسٌ ونَجْـــدٌ دارُنـــا ولنـــا الأبُّ بـــه والمَكْـــرعُ"[4]

وقيل: "الأبُّ كل شيء ينبت على وجه الأرض، والمرعى المتهيئ للرعي والقطع ومنه قول قس بن ساعدة: فجعل يرتع أبّاً وأَصيدُ ضبَّاً. سئل ابن عباس عن الأبِّ، فقال: ما يَعتلف منه الدّواب، قال الشاعر:

ترى به الأبَّ واليقطينَ مختلطـــاً على الشريعة يجري تحتها الغَـــــرْبُ

وسُئل أبو بكر الصديق عن ((وفاكهةً وأبّاً))، فقال: أيّ سماءٍ تُظِلُّني وأي أرضٍ تُقِلُّني إن أنا قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم.

وقرأ عمر بن الخطاب على المنبر ((وفاكهةً وأبّاً))، فقال: هذه الفاكهة عرفناها، فما الأبُّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو الكَلَفُ يا عمر"[5].

الأبُّ أحد الأشياء التي ذكرها الله ضمن ما ذَكر قبلها مما هو طعام للإنسان، قال تعالى: ((فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ)) عبس: 24 ثم بدأ، سبحانه – يذكر أشكالاً من هذا الطعام ((أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبّاً*ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً*فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً*وعِنَباً وقَضْباً*وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً*وَحَدَائِقَ غُلْباً*وَفَاكِهَةً وَأَبّاً)) عبس: 25 - 31، ومنها الأبّ ((وَفَاكِهَةً وأبّاً)) وإن كان الأبُّ كما اتفقت معاجم اللغة وكتب التفسير على أنه العشب والمرعى وأنه خاص بالبهائم ويستدلون بذلك بقوله تعالى: ((مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)) عبس/32؛ (فَلَكُمْ) عائدة – حسب قولهم– على الفاكهة، والضمير في (أَنْعَامِكُمْ) يعود على (أبّاً)،

(4) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار صادر، (دون تاريخ)، مادة (أبب). الزبيدي، محمد مرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: إبراهيم الترزي، (د.ط)، الكويت، مطبعة الكويت، (1972)، مادة (أبب). لم أجد البيت في أي من الدواوين الشعرية.

(5) السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار المعرفة، (دون تاريخ)، ج1، ص149. لم أجد البيت في أي من الدواوين الشعرية. (الكلف في كلام عمر بن الخطاب هو التكلف، الكلف والتكلف صحيحتان).

وهنا أقول: إن كان هذا صحيحاً فإنّ هذا الأبَّ فيه متعة أيضاً للإنسان بمنظره الجميل واستعمالاته، ومن ثم هذه البهائم سترعى هذا الأبَّ، وهي أي – البهائم– نفسها متاع للإنسان بمنظرها وفوائدها، فالمتاع أولاً وأخيراً عائد على الإنسان، فالأبُّ إذن ليس خاصاً للبهائم فقط.

إن آية ((مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)) تعود على كل ما سبق ذكره من أصناف الطعام قبل ذكر الفاكهة والأبّ، فالعنب والقَصَب والزيتون والحدائق إلى جانب الفاكهة والأبّ، كله متاع للإنسان والأنعام، والله أعلم بمراده.

• **إدّاً:**

وردت لفظة (إدّا) مرة واحدة في القرآن الكريم، في قوله تعالى:((لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً))مريم: 89.

والإدّ والإدّة بكسر الهمزة في كتب المعاجم: "الأمر الفظيع العظيم، والداهية والشدة، وتَئِدُّ وتَؤُدُّ أدّاً، وأدَّه الأمر يَؤُدّه ويئِدُّه: إذا دهاه.والعرب تقول: لقد جئت بشيءٍ آدٍّ: أي بشيء عظيم، قال رؤبة:

إن يغفل المرء فليس غافلا

يبغيه يوماً جنة وخابلا

والأَدَّ والأَدَادَ والعضائلا

بل إن ترَيني أشتكي الرحائلا[6]

(6) شرح ديوان رؤبة بن العجاج، لعالم لغوي قديم، تحقيق: عبدالوهاب عوض الله، مراجعة: محمد حسن عبدالعزيز، (ط1)، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (2008م)، ج2، ص359. ويقال: الإدّ، بكسر الهمزة: الشَّدّ، والإِدَدُ: الدواهي العظام واحدها إدّة بالكسر والتشديد، والأَدّ: الغلبة والقوة. وقد أورد صاحب اللسان هذا الشطر من شعر رؤبة بالكسر في مادة (أدد) كالآتي:

ويتّقي الفحشاء والنياطلا والإِدّ والإِدادَ والعضائلا

وأدّت الناقةُ: حنّت: رجعت الحنين في جوفها، وأدّ الحبل: مدّه، وأدّ في الأرض: ذهب. يقال: آدَهُ الحمل يَؤُدُّهُ أَوْداً: أثقله، وأَدَّني الأمرُ وآدَني : أثقلني"[7].

ويرى ابن دريد أن "أصل الهمزة واو؛ لأنه من الود؛ أي الحب، مثل أرخ؛ إذ الأصل ورخ"[8]. أقول: هذا أمر مستبعد؛ ذلك أن فرقاً شاسعاً في المعنى بين الإدّ والود حيث وردت الكلمتان في القرآن الكريم، ولا ترادف في القرآن، والشاهد قوله تعالى في سورة مريم عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، "إذ المؤمنون في ظلال ندية من الود السامي: ود الرحمن"[9]((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً))مريم/96، ((وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً))مريم/88-89. مستنكراً مقولة قالها الكافرون في حقه عز وجلّ.

وقد أجمعت كتب التفسير على أنَّ الإدّ هو المنكر العظيم والداهية والأمر الفظيع. وأدّ يؤدُّ فهو آدّ، والاسم: الإدّ: إذا جاء بشيء عظيم منكر[10].

وبالعودة إلى سياق هذه اللفظة في الآية التي وردت فيها، يتبين لنا مدى منكر القول الذي نطق به الكافرون المجرمون الذين أنكروا وحدانية الخالق ((وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً)) مريم/88، فانطلقت "كلمة التفظيع والتبشيع:

(7) ابن منظور، لسان العرب، (مادة أدد). الزبيدي، تاج العروس، مادة (أدد).

(8) ابن دريد الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن، (2005). جمهرة اللغة، علق عليه ووضح حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، (ط1)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، مادة (أدد).

(9) قطب، سيد. في ظلال القرآن، (د.ط) بيروت، القاهرة، دار الشروق، (د.ت)،م4، ج16، ص2321.

(10) انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان في تفسير القرآن (المعروف بتفسير الطبري)، (ط4)، بيروت، لبنان، دار المعرفة، (1980)، م8، ج16، ص98. الفخر الرازي، محمد بن عمر. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، (ط1)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، (1990)، م11، ج21، ص217. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن (المعروف بتفسير القرطبي)، (ط3)، (د.م)، دار الكاتب العربي، (1967)، م6، ج11، ص156.

((لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً)) مريم/89، ثم يهتز كل ساكن، ويرتج كل مستقر، ويغضب الكون كله لبارئه، وهو يحس بتلك الكلمة تصدم كيانه وفطرته"[11].

وهكذا فإنه ليس هناك كلمة أخرى تسُدّ مسد كلمة (إدّاً) في هذا الموضع في سياق هذه الآية، هذه اللفظة بأصواتها الوقفية الانفجارية الحنجرية، المتراوحة بين الهمس والجهر في (الهمزة)، والوقفية الانفجارية المجهورة في (الدال)، متوافقة مع فظاعة كلمة المنكرين وبشاعتها ((وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً))، وهذا مظهر من مظاهر سحر البيان القرآني وإعجازه وعجائبه التي لا تنتهي.

• الأرائك

وردت لفظة (الأرائك) في القرآن الكريم خمس مرات، في أربع سور، هي كالآتي: قال تعالى: ((أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً))الكهف/30.

وقال تعالى: ((هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ)) يس/56.

وقوله تعالى: ((مُتكِئِينَ عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً)) الإنسان/13.

وقوله تعالى: ((إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ* عَلَى الأَرَائِكَ يَنْظُرُونَ)) المطففين/22-23.

وقوله تعالى: ((فَاليَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفَّارِ يَضْحَكُونَ*عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ))المطففين/34-35.

(الأرائك) في أصل اللغة من (أَرَك)، يُقال: "أَرَكَ الرجل بالمكان يَأْرُك ويَأْرِك أُرُوكاً وأَرَكاً: أقام به، وأَرَكَ الأمرَ في عنقه: ألزمه به، وأَرَكَ الجرحُ: بَرَأ.

(11) قطب، في ظلال القرآن،م4، ج16، ص 2321.

وأصله من الأراك: القطعة من الأرض، وقيل: شجر من الحَمْضِ تتخذ من فروعه وعروقه المساويك، الواحدة: أراكة. قال عمر بن أبي ربيعة:

تخيـــرتُ من نعمـــانَ عُـــودَ أراكـةٍ لهندٍ ولكـن من يُبَلغـــه هنـــداً[12]

وتجمع أراكة على: أُرُك وأرائك، قال كليب الكلابي:

ألا يا حمـــامـــاتِ الأرائك بالضحـــى تجاوبن من لَفّاءَ دانٍ بريرُهـا[13]

وأرْك وأريك: موضع، قال النابغة:

عَفَا ذو حِسىً مِن فَرْتَنَـى فالفـوارع فَجَنْبَـا أَريكٍ، فَالتِّـلاعُ الدَّوَافِـعُ[14]

والأريكة: سرير في حَجَلَة، والجمع: أرْيُك وأرائك، والأريكة: سرير منجد مزين في قبة أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير فهو حَجَلَة"[15]، قال الأعشى:

بين الرواق وجانب من ستـــرها منها وبين أريكـة الأنصـــــار[16]

---

(12) ابن أبي ربيعة، عمر. ديوان عمر بن أبي ربيعة، قدم له ووضع هوامشه: فايز محمد، (ط2)، دار الكتاب العربي، بيروت، (1996م)، ص120، وقيل: هو مما نسب لعمر بن أبي ربيعة.

(13) استشهد به الفراهيدي في كتابه العين، في مادة (أرك) ونسبه لكليب الكلبي، لكن لم أجد البيت في أي من المجموعات الشعرية.

(14) النابغة الذبياني، زياد بن معاوية. ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، مصر، دار المعارف، (د.ت)، ص30.

(15) الفراهيدي، الخليل بن أحمد. كتاب العين. ترتيب ومراجعة: داود سلوم وداود سلمان العنكبي وإنعام داود سلوم، (ط1)، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، (2004م)، مادة (أرك). ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (أرك). ابن منظور، لسان العرب، مادة (أرك).الزبيدي، تاج العروس، مادة (أرك).

(16) نسبه ابن منظور في لسان العرب، مادة (أرك)، والزبيدي في تاج العروس، مادة (أرك) للأعشى، ولم أجد البيت في ديوان الأعشى.

فالأرائك غير السرر، إذ وردت اللفظتان في القرآن الكريم. وقد ذكرت كتب التفسير معاني عدة للأرائك، فقالوا: "الأرائك: السرر في الحجال من اللؤلؤ والياقوت.

وقيل: هي الحجال فيها السرر والفُرُش، جاء عن العرب: الأريكة لا تكون إلا في حَجَلَة من سرير، وزعم بعضهم أن كل فراش أريكة[17] مستشهداً بقول ذي الرمة:

خدوداً جَفَتْ في السَّيرِ حتــى كأنمـــا يُبَاشِرْنَ بالمَعْزَاءِ مسَّ الأرائِـــكِ[18]

ولا يطلق لفظ الأرائك إلا إذا اجتمعت السرر والحجال. يقول ابن فارس: "سمعت علي بن إبراهيم يقول: سمعت ثعلباً يقول: الأريكة لا تكون: لا سريراً مُتَّخَذاً في قبة عليه شَوارُه ونجدُه"[19]، "عن الحسن: كنا لا ندري ما الأريكة حتى لقينا رجلاً من أهل اليمن فأخبرنا أن الأريكة عندهم ذلك"[20]، "فأهل اليمن عرفوا (الأريكة) ذلك أنها في الأصل عندهم موضع ما بين صنعاء إلى أيلة وما بين عدن إلى الجابية"[21]، فهي عندهم موضع يأرِكه المسافرون للراحة في أثناء تنقلهم، ولتعودهم ذلك سموه الأريكة.

وبعد، فإنه بالنظر في (الأرائك) في سياق الآيات التي ذكرت فيها، فإنه يتبين أن الله عزّ وجل قد ربط بين (الأرائك) و(المؤمنين)، فـ (الأرائك) نوع من

(17) الطبري،تفسير الطبري، م10، ج23، ص14، والحجال: موضع يزين بالثياب والستور والأسرة للعروس، انظر:القرطبي، تفسير القرطبي م50، ج10، ص398.

(18) ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي. ديوان ذي الرُّمة، بشرح أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، (ط2)، بيروت لبنان، مؤسسة الإيمان، (1982م)، ج3، ص1729. جفت في السير: لم تطمئن، والمعزاء: الأرض الغليظة الصلبة.

(19) ابن فارس، أبو الحسين أحمد. الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها (المعروف بالصاحبي)، تحقيق: عمر فاروق الطباع، (ط1)، (د.م)، مكتبة المعارف، (1993)، ص100. الشوار: الزينة، والنجد: ما يزين به البيت من الأثاث والرياض والجمع نجود.

(20) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م16، ج31، ص89.

(21) القرطبي، تفسير القرطبي، م5، ج10، ص398.

نعيم الجنة للنظر إلى ما حولهم من نعيم أنعم الله به عليهم((إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ*عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ)) المطففين/22-23، وهي مخصصة للاتكاء بتأكيد مذكور غير مرة في القرآن: ((مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ))الكهف: 31 ((فِي ظِلاَلٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتكِئُونَ)) يس: 56 ((فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون* على الأرائك ينظرون)) المطففين: 34 – 34.

فالأرائك إذن في القرآن أخذت دلالة جديدة إلى جانب ما استمدته من المعنى الأصلي؛ فالمؤمنون يقيمون في الجنة على أرائك ملازمة لهم وهم مُبَرَّؤون مما كان في الدنيا من مصائب، فبعد أن كانت (الأرائك) للجميع في الحياة الدنيا ليست خاصة بأحد، أصبحت في الآخرة خاصة بالمؤمنين فهي مظهر من مظاهر نعيم الجنة، وبخاصة للاتكاء والنظر إلى أشكال النعيم الأخرى في الجنة، فهي غير السرر، إذ جاء ذكر السُرر ست مرات في ست سور، منها قوله تعالى: ((فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ)) الغاشية: 13 ((مُتكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ)) الطور: 20.

ذلك التخصيص هو ما جعل (الأرائك) مصطلحاً قرآنياً جديداً، يحمل دلالة طرأ عليها نوع من تخصيص الدلالة بعد أن كانت عامة في الدنيا والآخرة.

• **أف:**

لقد وردت لفظة (أف) ثلاث مرات في القرآن الكريم، في ثلاثة مواضع منه، في ثلاث سور، وهي كالآتي:

قال تعالى: ((وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً)) الإسراء/23.

وقال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم لقومه حين رفضوا اتباعه، وقد أصروا على عبادة غير الله، فقال لهم: ((أُفٍّ لَكُمْ وِلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ))الأنبياء/67.

وقال عز وجل: ((وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِيَ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)) الأحقاف/17.

والأف: الوسخ الذي حول الظفر، وقيل: وسخ الأذن، وأصل هذه الكلمة أنه إذا سقط عليك تراب أو رماد نفخت فيه لتزيله، والصوت الحاصل عن هذه النفخة هو قولك: أف، ثم أصبحوا يستعملون هذه الكلمة عند كل شيء يُضجر منه ويُتأذى به[22].

وقيل: أُفّ مأخوذة من الأفيف والأَفَفِ وهو الشيء القليل، وقيل: أُفّ هو الضجر، وقيل: النّتَن[23].

قال أبو زيد: الأفُّ: الأظفار، والتُّف: وسخ الأظفار[24].

وأف: صوت إذا صُوِّت به عُلم أن صاحبه متضجر، وعدّها بعض القراء صوتاً لا معنى له كقولهم في حكاية الصوت غاق غاق[25]، لكن هذا القول يُتوقف عنده وبخاصة أن الحديث عن لفظة في القرآن الكريم، فهل يُعقل ويُقبل أن يكون في القرآن لفظة جاءت عبثاً دون فائدة؟ حاشا لله. ومن ثم إن الآية تقوي رأي من قال بأنها كلمة وليست صوتاً ذلك أن الله تعالى قال:"فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ"، والصوت لا يتفق أن يوصف بأنه يقال؟

ذكرت كتب التفسير أن في (أف) سبع لغات: كسر الفاء وضمها وفتحها وكلها بتنوين وبغير تنوين فهذه ستة، والسابعة (أفي) بالياء، كأنه أضاف القول لنفسه. ثم أضاف إليها ابن الأنباري ثلاثة ألفاظ أخرى: (إفَ) و(أُفه)

(22) الفراهيدي، العين، مادة (أفف).ابن منظور، لسان العرب، مادة (أفف).الزبيدي، تاج العروس، مادة (أفف).

(23) الفخر الرازي، التفسير الكبير: م10، ج20، ص151. القرطبي، تفسير القرطبي: م5، ج10، ص243.

(24) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (أفف).

(25) الطبري، تفسير الطبري: م8، ج15، ص47-48.الفخر الرازي، التفسير الكبير: م11، ج22، ص162.

و(أُفْ)[26]. وقد أصبح يُقال: لا تقل لفلان أف، كمثل يُضرب للمنع من كل مكروه وأذية وإن خَفّ أو قلّ[27].

الأفُّ مصطلح قرآني جديد، استحدث القرآن مدلوله من معناه اللغوي الأصلي؛ فبعد أن كانت عند العرب (لفظة) وبعضهم قال (صوتاً) تعبر أو يعبر عن كل مكروه خفَّ أو قلَّ، أصبحت في السياق القرآني مقترنة بأمر عظيم هو الإنكار والجحود، سواء أكان إنكار وحدانية الله وجحود فضله ونعمه وإنكار البعث، أم إنكاراً ورفضاً للأبوين "رفض كفر النعمة وجحد التربية وَرَدِّ وصية الله في التنزيل"[28].

بعد أن كانت لفظة (أف) عامة لكل مكروه، باتت مخصصة في القرآن الكريم، للدلالة على كل رديء يصدر من الولد تجاه والديه، سواء أكان قولاً أم فعلاً.

تترى:

ذكرت لفظة (تترى) مرة واحدة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ((ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْراً كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ)) المؤمنون/44.

وتترى في معاجم اللغة: من "(الوِتْر) – بالكسر – في لغة نجد، و– بالفتح– (الوَتر) في لغة الحجاز، وهو (الفرد) وكل شيء كان فرداً فهو وِتر واحدٌ، والثلاثة وِترٌ، وأحَدَ عشر وِترٌ، والفعل: أَوْتَر يُوْتِرُ. ووَتَرَ القومَ يَتِرِهم وَتْراً: جعل شفعهُم وِتراً. وَوَتره ماله: نَقَصَه إياه.

(26) انظر: الطبري، تفسير الطبري: م8، ج15، ص47-48. الفخر الرازي، التفسير الكبير: م10، ج20، ص151.

(27) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير: م10، ج10، ص151.

(28) القرطبي، تفسير القرطبي، م5، ج10، ص243.

والتواتر: التتابع، تتابع الأشياء مع فترات بينها. قال اللحياني: تواترت الإبل والقطا وكل شيء: إذا جاء بعضه في إثر بعض ولم تجئ مُصْطَفة. ليست المتواترة كالمتداركة والمتتابعة، قال ابن الأعرابي: تَرى يَترى، إذا تراخى في العمل، فعمل شيئاً بعد شيء، قال الأصمعي: واترت الخبرَ: أتْبَعتُ، وبين الخبرين هنيهة، وقال غيره: المواترة: المتابعة، وأصل هذا كله من الوَتْر وهو الفرد، وهو أنّى جعلتُ كل واحدٍ بعد صاحبه فرداً فرداً... ولا تكون المواترة بين الأشياء إلا إذا وقعت بينها فترة، وإلا فهي مُدَارَكة مُوَاصلة... وجاؤوا تترى وتتراً – بالتنوين–: أي متواترتين واحداً بعد واحد، والتواتر: التتابع، و(تترى) في الآية قد قرأها أبو عمرو وابن كثير منونة ووقفاً بالألف، وقرأ سائر القراء (تترى) غير منونة، والعرب أكثرهم على ترك التنوين؛ لأنها بمنزلة (تقوى). ((ثمّ أرسلنا رُسُلَنا تتراً))؛ متقطعة متفاوتة، فبين كل نبيين فترة تطول، وجاء الخيل تترى: متقطعة.

وقيل هي من الوِتر وهو الفرد ضد الشفع، فالمعنى: أرسلناهم فرداً فرداً"[29]. ويجوز على هذا (تِراً) بكسر التاء الأولى، وموضعها نصب على المصدر، ويجوز أن تكون في موضع الحال أي متواترين، وبهذا فإن تترى اسم وليس فعلاً، وتنوين الكلمة دليل على اسميتها[30].

لم تخرج كتب التفسير عما جاءت به المعاجم، فكلها اتفقت على أن (تترى) مصدر على وزن فَعْلاً مثل: حَمْداً وشكراً بحسب قراءة (أبو عمرو) وابن كثير بالتنوين والوقف بالألف، وأنها مصدر على وزن فعلى مثل: دعوى وتقوى، بحسب سائر القراء الذين تركوا التنوين، والعرب أكثرهم على ترك التنوين، فهو

(29) الفراهيدي، العين، (وتر). ابن دريد، جمهرة اللغة، (وتر). ابن منظور، لسان العرب، (وتر). الزبيدي، تاج العروس، مادة (وتر).

(30) انظر: الطناحي، محمود محمد. مقالات العلامة محمود محمد الطناحي: صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب، (ط1)، بيروت، لبنان، دار البشائر الإسلامية، (2002م)، ج2، ص555-556.

أفصح وأشهر[31]. وهذا القول بأنها مصدر في حال التنوين أو عدمه وعلى وزن (فَعْلاً وفعلى) تأكيد ثان أنّ (تترى) اسمٌ وليس فعلاً.

وقد وردت (تترى) في شعر الجاهليين، بمعنى التتابع، قال الحارث بن وعلة الجرمي:

ولَمَّا رأيتُ الخيْلَ تتــرى أَثَائجــاً عَلِمتُ بأن اليومَ أَحْمَــسُ فَاجِــرُ[32]

وقال سويد بن جَدعة الشاعر الجاهلي:

ونحــن نَفَيْنَــا خَــشْعَماً عــن بلادِهــا تقتــل حتّــى عــادَ مــولى شريــدها
فريقين فرقــاً باليمــامــة منهــم وفرقاً يخيفُ الخيل تترى خدودهــا[33]

وبعدُ، فإن (تترى) في القرآن الكريم، ربما لم تصل إلى منزلة القول بأنها مصطلح قرآني فقد جاءت في القرآن متفقة في دلالتها مع ما جاء في الشعر الجاهلي، لكن ورودها مرة واحدة في القرآن، ومن خلال ربطها بسياق الآية التي وردت فيها، أقول: هي حالٌ خُصِّصَت بكيفية إرسال الرسل دون الأنبياء، ونحن نعلم أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، وما يدل على أنها خاصة بكيفية إرسال الرسل دون الأنبياء، أنَّ من الأنبياء من كان يتزامن إرسالهم في الوقت نفسه، كيوسف ويعقوب عليهما السلام، وقد يتزامن إرسال الرسل والأنبياء في وقت واحد كإبراهيم ولوط عليهما السلام، وعيسى ويحيى عليهما السلام، ولكن لم يُسمع ولم يُورد أحد أن أُرسل رسولان معاً، من هنا فإن القرآن

(31) الطبري، تفسير الطبري، م9، ج18، ص17.الفخر الرازي، التفسير الكبير، م12، ج3، ص88. القرطبي، تفسير القرطبي، م6، ج12، ص125.

(32) الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى. المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، (ط3)، دار المعارف، القاهرة، (1964م)، ص166. أثائجاً: جماعات. أحمس: شديد القتال.

(33) الطناحي، مقالات محمود الطناحي، ص560، وقد نقله عن شرح المفضليات للأنباري، ولم أجده في المفضليات للأنباري ولا في المفضليات للتبريزي.

يؤكد أن (تترى) هي تتابع مع الفصل، فبعد أن يصف الله كيفية إرسال الرسل ((ثم أرسلنا رسلنا تتراً))يعود فيؤكد معناها بقوله تعالى: ((كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً))؛ فالرسل تترى، والأمم تترى في مصيرها وفقاً لتواتر الرسل، وما يؤكد هذا المعنى؛ معنى تترى بأنه التتابع مع الفصل، أن القرآن يُوصف بأنه متواتر، ذلك أنه لم ينزل جملةً واحدة بل على فترات وفقاً للأحداث والمناسبات والضرورات. فالجديد في لفظة (تترى) في القرآن إذن، هو تخصيصُها بكيفية إرسال الرسل فقط، فلم تذكر إلا في هذا الموضع، راسمةً صورةً متحركةً لسنة الله في إرسال الرسل عبر الزمن، وسبب إرسالهم على هذه الكيفية((كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ)). فالآية الكريمة((ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَاً)) "تُلخص تاريخ الدعوة، وتقرر سنة الله الجارية في الأمد الطويل بين نوح وهود في أول السلسلة، وموسى وعيسى في أواخرها، كل قرن يستوفي أجله ويمضي"[34].

• ثبوراً

وردت لفظة (ثبوراً) بهذه الصيغة؛ صيغة المصدر أربع مرات، ثلاث في آيتين متتاليتين من سورة الفرقان ومرة في سورة الانشقاق، وقد جاء من مادة ثبر صيغة اسم المفعول مرة واحدة ((وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مثبوراً)) الإسراء/ 102.

قال تعالى: ((وإذا أُلقوا منها مكاناً ضيقاً مُقرّنين دَعَوا هنالك ثبوراً*لا تدعُوا اليوم ثبوراً واحداً وادعُوا ثبوراً كثيراً)) سورة الفرقان: 13- 14.

وقال تعالى:((فسوف يدعوا ثبوراً))الانشقاق/11 والثبر في معاجم اللغة: (الحبس والمنع والصرف، والثبور: الهلاك والخسران، والويل والإهلاك، والعرب تقول: إلى أمة يأوي مَنْ ثُبِر، أي من أُهلك. والثبور: الهالك، والملعون والمطرود والمعذب: ((وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً)) الإسراء/ 102.

(34) قطب، في ظلال القرآن: م4، ج18، ص2468.

قال الكميت:

وَرَأَتْ قُضَاعَـــــةُ في الأيَـــا مِـــنِ رَأْيَ مَثبـــورٍ وثَـــابِـرِ[35]

وقال عبدالله بن الزِّبَعْرى:

إذْ أُبَارِي الشَّيطانَ في سنَنِ الغَـيِّ ومَـــنْ مـــالَ مَيْـــلَـــه مثبـــورُ[36]

أي مغلوباً ممنوعاً من الخير. وثبير: جبل معروف كانوا يقولون في الجاهلية إذا وقفوا بعرفة: أَشْرِق بثير كيما نُغِير، ومعناها: الإغارة إذ كانوا يغيرون حين طلوع الشمس وهو كلام مشركي العرب[37].

والثبورُ في كلام العرب أصله: انصراف الرجل عن الشيء، يقال منه: ما ثبرك عن هذا الأمر؟ أي ما صرفك؟[38] وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في آية:((دَعَوُاْ هُنَالِكَ ثُبُوراً)) الفرقان: 13 قوله عليه الصلاة والسلام: "أول من يُكسي حلّةً من النار إبليسُ، فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه، وذريتُه من بعده، وهو ينادي: ياثبوراه، وينادون: يا ثبورهم، حتى يقف على النار، فيقول: يا ثبوراه. ويقولون: يا ثبورهم، فيقال لهم: ((لاَ تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وادْعُواْ ثُبُوراً كَثِيراً))"[39].

(35) الكميت، ابن زيد الأسدي. ديوان الكميت، تحقيق: محمد نبيل طريفي، (ط1)، بيروت، لبنان، دار صادر، (2000م)، ص144.

(36) ابن الزبعرى، عبدالله. شعر عبد الله بن الزبعرى، تحقيق: يحيى الجبوري، (ط2)، سوريا، مؤسسة الرسالة،(1981م)، ص18.

(37) الفراهيدي، العين، مادة (ثبر). ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (ثبر). ابن منظور، لسان، مادة (ثبر).الزبيدي، تاج العروس، مادة(ثبر).

(38) الطبري، تفسير الطبري، م9، ج18، ص140.

(39) البرهان فوري، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبطه وصححه: بكري حياني وصفوة السّقا، (ط5)، بيروت، مؤسسة الرسالة، (1985)، ج2، ص33 رقم الحديث (3018).

فالهلاك في هذا اليوم للمرء الذي كان قد قضى حياته من قبل بالمعاصي والإثم، هو المنقذ الوحيد له، فينادي الهلاكَ لينقذه من الشقاء الذي هو فيه[40]، وكأني بالمتنبي قد أخذ هذا المعنى القرآني، حين قال:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيـاً وحسب المنايا أن يكـــن أمانيـا[41]

لم ترد لفظة (الثبور) بهذه الصيغة؛ صيغة المصدر في الشعر الجاهلي، إنما استعملت العرب الفعل منها (ثبر)، ثم جاء القرآن الكريم لأول مرة بهذه الصيغة التي تحمل معنى جديداً هو الهلاك، وليس الهلاك بمعناه العام، إنما هلاك الكافرين في الآخرة الذي سُمي ثبوراً ؛ لأنه قائم بلا زوال، وبذا فإن (الثبور) مصطلح قرآني جديد صنعه القرآن الكريم ليدل على الهلاك في الآخرة. ويُعد هذا المصطلح من الأضداد في اللغة، وهو شكل من أشكال التطور الدلالي؛ فالثبور "مشتق من المثابرة على الشيء، وهي المواظبة عليه فسمي الهلاك في الآخرة ثبوراً؛ لأنه لازم لا يزول((إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً))الفرقان/65 وأصل الغرام: اللزوم والولوع"[42]. وقد سبق أن (الثبور) عند العرب: الانصراف عن الشيء، وهذا ضد (المثابرة) التي هي المواظبة على الشيء، فحمل هذا المصطلح معنيين متضادين فَعُدَّ من الأضداد.

- **جلابيبهن**

وردت لفظة (جلابيبهن) مرة واحدة في القرآن الكريم في الآية التاسعة والخمسين من سورة الأحزاب، يقول تعالى:

(40) انظر: قطب، في ظلال القرآن، م9، ج30، ص3867.

(41) البرقوقي، عبد الرحمن. شرح ديوان المتنبي، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، (د.ت)، ج4، ص417.

(42) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م16، ج31، ص97.

((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً)) الأحزاب/59.

والجلباب في أصل الاستعمال اللغوي: الملحفة، ثم استعير لغيرها من الثياب، قالت جَنُوب أخت عمرو بن ذي الكلب ترثيه:

تمشي النسورُ إليه وهي لاهيـــــةٌ مَشْيَ العَذَارَى عليهـــنَّ الجلابيــبُ[43]

والجلباب: القميص، وقيل: الخمار، وقيل: الملاءة، وقيل: المُلْكُ. والجلباب: ثوب أوسع من الخمار دون الرِّداء، تغطي به المرأة رأسها وصدرها[44].

ولم يخرج استعمال القرآن للجلباب عن المعنى اللغوي، لكن نزول الأمر الإلهي بفرض هذا اللباس (الجلباب) الساتر والحافظ لنساء المؤمنين جعله مصطلحاً قرآنياً أو إسلامياً، إذ لم يكن لهنّ علم به؛ لذا جاءت فاصلة الآية ((وكان الله غفوراً رحيماً)) أي: "كما سلف في أيام الجاهلية إذ لم يكن عندهم علم بذلك"[45].

وقد نزلت آية الحجاب هذه لمناسبة يلزم ذكرها لبيان تكريم المرأة المسلمة بالحجاب، فالمرأة في الجاهلية؛ الحرة والأَمَةُ كانت تخرج مكشوفة، فيتبعها الزناة، فتقع في التهم إذ كانت محطّ أنظار الرجال، فأمر الله الحرائر بالتجلبب فأصبحن يُعرفن بإرخائهن جلابيبهن فلا يؤذين[46]؛ إذ بإرخائهن الجلابيب عليهن، تُعرف الحرائر بسترهن، فيقع الفرق بينهن وبين الإماء، فلا يتعرض لهن الفجار، وهذا

(43) ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر (وزارة الثقافة والإرشاد القومي)، (د.ط)، القاهرة، (1965)، ج3، ص125. لاهية: آمنة لا يذعرها شيء، لأنه مات. وقال ابن حبيب: لاهية: أي تلهو بلحمه لأنه مقتول.

(44) الفراهيدي، العين، مادة (جلب). ابن منظور، لسان العرب، مادة (جلب). الزبيدي، تاج العروس، مادة (جلب).

(45) قطب، في ظلال القرآن، م5، ج22، ص2880.

(46) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير: م13، ج25، ص198. القرطبي، تفسير القرطبي: م7، ج14، ص243.

ما أجمع عليه الصحابة، والمفسرون من بعدهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنّ)). "الآية دليل على أن الحجاب إنما أُمر به الحرائر دون الإماء؛ لأنه خص أزواجه وبناته ولم يقل ما ملكت يمينك وإماءك وإماء أزواجك وبناتك. ثم قال: (وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ)، والإماء لم يدخلن في نساء المؤمنين"[47]. فهو أمر رباني لنساء النبي وبناته أولاً ثم لجميع نساء المسلمين على مر الزمان، فأين واقعنا اليوم، وأين بنات المسلمين من هذا الأمر الإلهي؟

ولا بد من الإشارة إلى أن (الجلباب) الذي ذكر في آية الحجاب الآية التاسعة والخمسين من سورة الأحزاب ليس هو ما يُطلق عليه اسم الجلباب اليوم، فالجلباب كما سبق هو اللباس الذي فرضه الله على المسلمات، وهو ثوب لا يصف ولا يشف يستر جميع البدن، وبهذا المعنى أصبح الجلباب مصطلحاً قرآنياً جديداً.

• السرادق

السرادق من الألفاظ التي ذكرت مرة واحدة في القرآن الكريم، وقد جاءت في الآية التاسعة والعشرين من سورة الكهف في قوله تعالى:

((إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا)) الكهف/29.

والسرادق في معاجم اللغة: كل ما أحاط بشيء: نحو الشُّقَّة في المَضْرِب، أو الحائط المشتمل على الشيء، ويجمع على سرادقات وهي التي تُمَدُّ فوق صحن الدار، وكل بيت من كرسُفْ (القطن) فهو سرادق[48]، قال رؤبة:

---

(47) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. الفتاوى الكبرى، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، طبع في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بإشراف: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، (2004م)، ج15، ص448.

(48) الفراهيدي، العين، مادة (سردق). ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (سردق). ابن منظور، لسان، مادة (سردق). الزبيدي، تاج العروس، مادة (سردق).

يا حَكَمُ بن المنـــذر بـن الجـــارود سُـرادِق المجـــد عليك مَمْـــدُود[49]

وقيل: السرادق: الغبار الساطع[50]، قال لبيد يَصِفُ حُمُراً:

رَفَعْنَ سُرَادِقـــاً في يـــوم ريـــــحٍ يُصَفّقُ بينَ مَيْـــلٍ واعْتِـــدالِ[51]

والسرادق: الدخان الشاخص المحيط بالشيء. وقد عدّها الجواليقي من المعرب، فقال: "السرادق، فارسي معرب، أصله بالفارسية سَرَادَارْ، وهو الدهليز"[52].

كل هذه المعاني التي ذكرتها معاجم اللغة تحملها لفظة (السرادق) في القرآن الكريم، فكتب التفاسير ذهبت إلى أن السرادق: حائط من نار يحيط بالكافرين، أو الحجرة حول الفسطاط، وقيل: دخان يحيط بهم يوم القيامة، وقيل: السُّرادق واحد السرادقات التي تُمد فوق الدار[53]. عن النبي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أنه قال: "سرادق النار أربعة جُدر كِثَفُ كلِّ جدار مثلُ مسيرة أربعين سنة"[54].

فبعد أن كانت السرادق تدل على كل ما أحاط بشيء أو الدخان المحيط بالشيء، أصبحت في السياق القرآني مخصصة بنار جهنم التي أعدّها الله

(49) نسبه صاحب لسان العرب وصاحب تاج العروس لرؤبة، ولم أجده في ديوان رؤبة.

(50) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سردق). والزبيدي صاحب تاج العروس، مادة (سردق).

(51) العامري، لبيد بن ربيعة. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، (1962)، ص86.

(52) الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد. المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط1)، القاهرة، دار الكتب المصرية، (1361هـ)، ص200.

(53) انظر: الطبري، تفسير الطبري: م8، ج15، ص157، الفخر الرازي، التفسير الكبير م11، ج21، ص102. القرطبي، تفسير القرطبي، م5، ج10، ص393.

(54) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء. شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (ط1)، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، (1983م)، ج15، ص245.

للكافرين الذين ذَكَرَهُم الله تعالى بصفة من صفاتهم هي الظلم فقال: ((فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنُ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدَنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا)) الكهف: 29؛ فالظالمون هنا هم الكافرون، ولم تذكر السرادق في القرآن إلا في هذا الموضع، وقد أثبتها للنار إذ يحيط بهم سرادقها. يقول الفخر الرازي: "الإحاطة بهم تكون قبل دخولهم النار فيغشاهم الدخان ويحيط بهم السرادق حول الفسطاط"[55] وهذه المعاني كلها، ومن ثم بالنظر إلى استعمال السرادق في الشعر الجاهلي، يتبين أن السرادق مصطلح قرآني جديد حمل دلالة خاصة بأهل النار، بعد أن كان عاماً للناس جميعاً في الدنيا، وإن استمد تلك الدلالة من المعنى اللغوي الأصلي للكلمة. واليوم نسمع (السرادق) يطلق على الخيمة الكبيرة التي تنصب في المناسبات في الأفراح والتعازي.

• قطّنا

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم مرة واحدة، في قوله تعالى: ((وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ)) ص/16.

وقَطَطَ قطّة يقطُّه قطّاً: قطعه عرضاً، والقَطّ: القطع عامة، وقيل: قطع الشيء الصُّلب واقتطّه فانقط واقْتَطَّ. ومَقَطُّ الفرس: منقطع أضلاعه[56]، قال النابغة الجعدي:

كـــأنّ مَقَـــطَّ شراســـيفِه إلى طَـــرَف القُنْـــبِ فالمَنْقَـــبِ
لُطِمن بتُـــرسٍ شديـــد الصِّفـــا قِ مِنْ خشَبِ الجَـوْزِ، لم يُثْقَـــبِ[57]

(55) الفخر الرازي، التفسير الكبير: م11، ج21، ص102.

(56) الفراهيدي، العين، مادة (قطط). ابن منظور، لسان العرب، مادة (قطط). الزبيدي، تاج العروس، مادة (قطط).

(57) الجعدي، النابغة أبو ليلى. ديوان النابغة الجعدي، تحقيق: واضح الصمد، (ط1)، بيروت، لبنان، دار صادر، (1998م)، ص37. مقط: عظم عند منقطع الشراشيف، والشراشيف: رؤوس الأضلاع مما يلي الصدر، والقنب: جراب قضيب الدابة، والمنقب: السرة في وسط البطن؛ أي ذلك الموضع من فرسه ليس مسترخياً. لطم الشيء بالشيء: ألصقه به، الصفاق: الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر؛ أي إن ذلك الموضع منه شديد كالترس.

والقِطاط: مدار حافر الدّابه؛ لأنه كأنه قُطّ: أي قُطع وسُوّي. والقِطاط: حرف الجبل والصخرة، كأنما قُطَّ قطّاً، والجمع أَقِطَّة[58]، نقل صاحب اللسان عن رؤبة:

فأيها الجاذي على القِطاط[59]

والقِط في كلام العرب: الصّك وهو الحظ، والكتاب، وقيل كتاب المحاسبة[60]، قال أمية بن أبي الصلت:

قومٌ لهم ساحةُ العِرَاق إذا ساروا جميعاً والقِطُّ والقلمُ[61]

والجمع: القُطُوط[62]، قال الأعشى:

ولا المَلِك النعمانُ يومَ لَقِيتُهُ بإمّتِه يعطي القُطوطَ ويأفِقُ[63]

"والقِط: النصيب، وأصله الصحيفة للإنسان، قال الأزهري: القِط: النصيب؛ أي الجوائز والأرزاق، وإنما سميت قطوطاً لأنها كانت تخرج مكتوبة في رِقاع وصكاك مقطوعة، والقِط: الساعة من الليل، يقال: مضى قِط من الليل"[64]. "قالوا: والقِط بمعنى النصيب: مجاز، ومنه قوله تعالى:((رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا

(58) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قطط). الزبيدي، تاج العروس، مادة (قطط).

(59) شرح ديوان رؤبة بن العجاج، ج2، ص157.

(60) ابن منظور، لسان العرب،مادة (قطط). الزبيدي، تاج العروس، مادة (قطط).

(61) ابن أبي الصلت، أمية. ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق: سجيع جميل الجبيلي، (ط1)، بيروت، دار صادر، (1998م)، ص128، وقد سقطت (إذا ساروا) من لسان العرب وتاج العروس.

(62) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قطط).

(63) الأعشى، ميمون بن قيس. ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: محمد محمد حسين، (ط7)، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، (1983)، ص269. بإمته: بنعمته.

(64) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (قطط). ابن منظور، لسان العرب، مادة (قطط). الزبيدي، تاج العروس، مادة (قطط).

قِطَّنَا))"[65] "قال الفراء: القِط: الصحيفة المكتوبة وإنما قالوا ذلك حين نزلت:((فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ))الانشقاق: 7، فاستهزأوا وقالوا: عجل لنا هذا الكتاب قبل يوم الحساب"[66].

وللمفسرين أقوال في (قِطَّنَا) في قوله تعالى:((رَبَنَا عَجِّل لَنَا قِطَّنا))، "فقال مجاهد: أي عذابنا، وقال قتادة: نصيبنا وحظنا من العذاب"[67]. "وقال الحسن: نصيبنا من الجنة لنتنعم به في الدنيا"[68]. "وقال ابن عباس: العذاب"[69].

يتبين مما سبق من معانٍ متعددة لهذه اللفظة في اللغة ومن ثم من تفسير المفسرين لها أن هذه اللفظة لفظة جديدة بدلالتها التي ارتبطت بالمكذبين الكافرين، نقلها القرآن من الدلالة المادية المحسوسة إلى دلالة مجازية معنوية، تعني النصيب لكنها تحمل في الوقت نفسه المعاني الأصلية لها، فكأن هؤلاء المكذبين يطلبون من الله أن يقطع لهم صحيفة مكتوبة يعرفون من خلالها رزقهم في الدنيا ومصيرهم في الآخرة كي يؤمنوا بالرسول عليه الصلاة والسلام، وما هذا إلا استهزاء ومماطلة.

وبعدُ، فإن لفظ (قطنا) لم يصل إلى أن يكون مصطلحاً قرآنياً، لكن ما حمله من دلالة جديدة في القرآن ألح علي أن أقدمه في هذا البحث.

- **الكوثر**

ورد ذكر لفظة (الكوثر) في القرآن الكريم مرة واحدة، في سورة تحمل اسم (الكوثر)، يقول تعالى: ((إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ)) الكوثر/1.

---

(65) الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، (ط1)، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، (1996)، مادة (قطط). الزبيدي، تاج العروس، مادة (قطط).

(66) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قطط). الزبيدي، تاج العروس، مادة (قطط).

(67) الطبري، تفسير الطبري، م10، ج23، ص85، القرطبي، تفسير القرطبي، م8، ج15، ص157.

(68) القرطبي، تفسير القرطبي، م8، ج15، ص157.

(69) الطبري، تفسير الطبري، م10، ج23، ص85.

والكوثر في أصل اللغة من "كَثُرَ الشيء يَكثُر كَثْرَةً وكَثَارةً فهو كَثْر وكثير وكُثّار وكاثر. والكَثْرَة: نماء العدد، ورجل مُكثِر: كثير المال، ومَكثُور عليه: أي كَثُر من يطلب إليه معروفه، وهو المغلوب الذي قهره الناس. ورجل مكثار وامرأة مكثار: هما كثيرا الكلام.

والكَثْرة والكِثرة (بالكسر) لغة رديئة، والكُثرة، والكاثر: الكثير، وعدد كاثر: كثير، قال الأعشى:

ولستَ بالأكثرِ منهم حَصَىً وإنما العزّةُ للكاثرِ[70]

والأكثر بمعنى الكثير وليست للتفضيل هنا.

والكوثر: الكثير من كل شيء، والكثير: الملتف من الغبار إذا سَطَعَ وكَثُر، قال أمية بن عائذ الهذلي يصف حماراً وعانته:

يُحَامي الحقيقَ إذا ما احْتَدَمْ نَ حَمْحَمَ في كوثرٍ كالجلال[71]

أراد: غبار كأنه جلال السفينة.

ورجل كوثر: كثير الخير والعطاء، والكوثر: السّيد الكثير الخير، قال لبيد:

وصاحبُ ملحوبٍ فُجِعنا بيومه وعِنْدَ الرِّدَاع بيتُ آخرَ كوثر[72]

والكوثر: النهر وكوثر (فوعل) من الكثرة والواو زائدة"[73]، قال الكميت:

---

(70) الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، ص193.

(71) ديوان الهذليين، ج2، ص181، والحقيق: ما يحق عليه أن يحميه. احتدمن: اشتد عَدْوهن، الجلال: جمع جُل: أي قد ركبها الغبار، حمحم في كوثر: غبار كثير.

(72) العامري، ديوان لبيد، ص52.

(73) الفراهيدي، العين،مادة (كثر). ابن دريد، جمهرة اللغة،مادة (كثر). ابن منظور، لسان العرب، مادة (كثر). الزبيدي، تاج العروس، مادة (كثر).

وأنتَ كثيرٌ يا ابنَ مـــروانَ طيـــبٌ وكان أبوك ابنُ العقائِل كوثـــرا[74]

وقد اختلفت الآراء في كتب التفسير في معنى الكوثر، ذلك أن أهل التأويل اختلفوا فيه، فذكروا ما أوردته كتب المعاجم وزادوا عليها من أنه: "نهر في الجنة، أو هو الخير الكثير، وقالوا: النبوة والكتاب، وقالوا: القرآن، وقالوا: الإسلام، وقالوا: تيسير القرآن وتخفيف الشرائع، وقالوا: كثرة الأصحاب والأمة والأشياع، وقيل: رفعة الذِّكر، وقيل: حوض النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا: نور في قلبه عليه السلام دلّه على الله، وقيل: الشفاعة، وقالوا: هي المعجزات التي أعطيها الرسول عليه السلام، وقالوا: هو لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقالوا: الفقه في الدين، وقيل: الصلوات الخمس، وقيل: العظيم من الأمر"[75].

أقول: إن (الكوثر) في القرآن الكريم هو الخير الكثير وهو يشمل كل ما سبق ذكره من معان للكوثر أوردتها كتب التفسير، وبخاصة إذا علمنا أن قوله تعالى: ((إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ)) نزل حين عيّر العاص بن وائل السهمي رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه مقطوع لا وَلد له، فنزلت الآية تبشر رسول الله بالخير الكثير الذي سيرفع ذكره إلى قيام الساعة، وما القول بأن الكوثر وهو القول الأرجح عند المفسرين – بأنه نهر في الجنة إلا شكل من أشكال الخير، "قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير، فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة! فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه"[76].

أما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الكوثر نهر في الجنة، فلم يكن في مَعْرض سؤال أحد الصحابة عن الكوثر في آية سورة الكوثر، إنما هو

(74) الكميت، ديوان الكميت، ص177.

(75) الطبري، تفسير الطبري، م12، ج30، ص207. القرطبي، تفسير القرطبي م10، ج20، ص218/217/216.

(76) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار الفكر، (دون تاريخ)، م8، ص731.

حديث حدَّث به رسول الله أصحابه حين عُرج به، "عن أنس رضي الله عنه قال: لما عُرِج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء، قال: أُتيتُ على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مُجَوَّف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر"[77].

"فالكوثر: اسم النهر الذي أعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة، وصفه الله بالكثرة لعظم قدره"[78].

أقول: مع معرفة مناسبة الآية، يتبين أن الله سبحانه وتعالى أرضى نبيه الكريم بأن أعطاه الخير الكثير، في الدنيا كالنّبوة والقرآن والإسلام، وكثرة الأصحاب والأمة والأشساع، ورِفعة الذكر والنور في القلب والمعجزات، والعفة في الدين والصلوات الخمس وكلها تؤدي إلى الخير الكثير في الآخرة كالشفاعة والنهر في الجنة والحوض.

"والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد والقدر والخطر كوثراً، قال سفيان: قيل لعجوز رجع ابنها من السفر، بم آب ابنك؟ قالت: بكوثر. أي بمال كثير، والكوثر من الرجال: السيد الكثير الخير"[79]. إذا عرفنا هذا، ونظرنا في قوله تعالى: ((إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ)) ، عرفنا أن العرب عرفت الكوثر بمعنى الكثرة، ثم جاء القرآن مستعملاً إياها بمعنى مجازي، مخصصاً إياها برسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنه اشتق معناها المجازي من المعنى اللغوي إذ تحمل كلمة (الكوثر) في القرآن في طياتها كل تلك النِّعم الدنيوية والأخروية، فهي نعم كثيرة مستمرة في الدنيا حتى الآخرة، فأصبحت بهذا مصطلحاً قرآنياً شائعاً معروفاً.

أَهُـشُّ

وردت لفظة (أهشُّ) مرة واحدة في القرآن، في سورة طه، يقول تعالى: ((قال هي عصايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهَشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي)) طه/18.

---

(77) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(78) الطبري، تفسير الطبري، م12، ج30، ص209.

(79) القرطبي، تفسير القرطبي، م10، ج20، ص216، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. تفسير البحر المحيط، (ط2)، (د.م)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(1983)، م8، ص519.

والهَشُّ في اللغة، كلُّ شيءٍ فيه رخاوة ولين، هشَّ يَهِشُّ هشاشةً، فهو هَشٌّ وهشيش. والهَشُّ: جذبُك غُصنَ الشجرة إليك، وكذلك إن نَثَرْتَ وَرَقَها بعصا، ومنه قوله تعالى: ((وَأَهَشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي)). ورجل هشٌّ: إذا هشَّ إلى إخوانه. وخبزة هَشَّة: رِخْوة المَكْسَر، ويُقال: يابسة. وهشَّ هشوشة: صار ضعيفاً، وهشَّ يَهِشُّ: تكسَّر وكَبِر، ورجلٌ هشٌّ وهشيش: بَشٌّ ومسرور، والهشاشة: الارتياح والخفة للمعروف.

وفي حديث عمر –رضي الله عنه–، أنه قال: هَشِشْتُ يوماً فقبّلتُ وأنا صائم. قال شمر: هَشِشْتُ أي: فرحت واشتهيتُ[80]، قال الأعشى:

أصبحَ ذو فائـــشٍ سلامَـــةُ ذو الـ تِّفْضَال هَشّاً فـؤادُه جَـــذِلاً[81]

"قال الأصمعي: هَشاً فؤاده: أي خفيفاً إلى الخير.

ويُقال: فلان هَشُّ المَكْسِر (مرحاً)؛ أي: سهل الشأن فيما يُطلب عنده من الحوائج، و(ذمّاً)؛ أي: سهل الشأن في طلب الحاجة.

وقد هَشَشْتُ أهُشُّ هَشّاً: إذا خبط الشجر فألقاه لغنمه، وهَشَاهِشُ القوم: تحركهم واضطرابهم.

وهشَّ يَهِشُّ هَشّاً وهشاشة: إذا استبشر، وهشَّ على غنمه يَهُشُّ هشّاً: إذا نفض لها ورق الشجر لتأكله. وجَذْبك الغصنَ من أغصان الشجرة إليك، وكذلك إن نثرت ورقها بعصا"[82].

أوردت كتب التفسير في قوله تعالى: ((وَأَهَشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي)) طه/18 ما ذهبت إليه معاجم اللغة من معانٍ، لكن أضافت إليها أن "الهشّ: زجر

(80) الفراهيدي، العين، مادة (هشش). ابن منظور، لسان العرب، مادة (هشش). الزبيدي، تاج العروس، مادة (هشش).

(81) الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، ص285.

(82) ابن دريد، جمهرة اللغة، مادة (هشش). ابن منظور، لسان العرب، مادة (هشش).

الغنم"[83]، "وقرأ عكرمة أهسُّ، بالسين غير معجمة، قيل هما لغتان بمعنى واحد، وقيل: معناهما مختلف: فالهشُّ: خبط الشجر، والهسُّ: زجر الغنم. قال الراجز:

أهشـــــشُّ بالعصـــا على غنـــمـــي من ناعـــم الأراك والبشـــام"[84]

أقول: إن العرب قد عرفت مادة (هشش)، وعرفت الهش، واستعملت (أهشُّ) بمعنى الخبط على الشجر ليسقط ورقها فتأكله الغنم، وجاء القرآن واستعمل هذه اللفظة نفسها (أهش) مرة واحدة، وفسّرتها كتب التفسير بالمعنى نفسه الذي جاء في كتب المعاجم، الخبط على الشجر، لكن أضافت كتب التفسير لطيفة جديدة تقول: إنَّ الهشّ: زَجْرُ الغنم. أقول: هذا صحيح فلفظة (أهش) هي أصلاً حكاية صوت من (هِش)، أي الهش على الغنم لضبط سيره وأكله، ونحن نسمع ذلك كثيراً من رعاة الغنم، من هنا أقول: إن (أهش) في القرآن لفظة جديدة في دلالتها، تحمل معنى الخبط على الشجر لإسقاط ورقه فيأكلها الغنم إلى جانب زجر الغنم، فلا يكون الهش إلا بالجمع بين خبط الشجر وزجر الغنم، فأهش "من مفردات الراعي الخاصة التي يستعين بها في سَوْق أغنامه، وهو يضربها بعصاه برفق ولين بطرف عصاه في ظهورها، ضرباً رفيقاً رقيقاً يرافق الصوت الذي يحثها على السير"[85] وهذا المعنى انفرد به القرآن، إذ لم يأت في المعاجم أن الهش زجر الغنم، وبهذا فإن (أهش) مصطلح قرآني يحمل دلالة جديدة.

هذا، والله ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

---

(83) الفخر الرازي، التفسير الكبير: م11، ج21، ص24.

(84) الطبري، تفسير الطبري: م8، ج16، ص117. القرطبي، تفسير القرطبي: م6، ج11، ص187. لم أجد البيت في أي من المجموعات الشعرية، ولا في كتاب أراجيز العرب. وجاء (البشام) وهو مكسور، وأظنها (البشم) كي يستقيم الوزن.

(85) أبو عودة، عودة خليل، (1998). شواهد في الإعجاز القرآني، دراسة لغوية دلالية، (ط1)، عمان، الأردن، دار البيارق، دار عمار، ص334.

مصادر البحث ومراجعه.

- الأعشى، ميمون بن قيس. ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: محمد محمد حسين، (ط7)، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، (1983).
- الأنصاري، ابن هشام. تهذيب سيرة ابن هشام، تحقيق: عبد السلام هارون، (ط10)، بيروت، مؤسسة الرسالة، الكويت، دار البحوث العلمية، (1984).
- البرقوقي، عبدالرحمن. شرح ديوان المتنبي، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي(د.ت).
- البرهان فوري، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبطه وصححه: بكري حياني وصفوة السّقا، (ط5)، بيروت، مؤسسة الرسالة، (1985).
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء. شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (ط1)، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، (1983م).
- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. الفتاوى الكبرى، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم، طبع في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بإشراف: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، (2004م).
- الجعدي، النابغة أبو ليلى. ديوان النابغة الجعدي، تحقيق: واضح الصمد، (ط1)، بيروت، لبنان، دار صادر، (1998م).
- الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد. المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط1)، القاهرة، دار الكتب المصرية، (1361هـ).

- حجازي، محمد عبدالواحد، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، (ط2)، (د.م)، (د.ن)، (1987).
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار الفكر، (د.ت).
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. تفسير البحر المحيط، (ط2)، (د.م)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (1983).
- ابن دريد الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن. جمهرة اللغة، علق عليه ووضح حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، (ط1)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، (2005).
- ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر (وزارة الثقافة والإرشاد القومي)، (1965)، (د.ط)، القاهرة.
- ذو الرُّمة، غيلان بن عقبة العدوي. ديوان ذي الرُّمة، بشرح أبي نصر أحمد ابن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي، تحقيق: عبدالقدوس أبو صالح، (ط2)، بيروت لبنان، مؤسسة الإيمان، (1982م).
- ابن أبي ربيعة، عمر. ديوان عمر بن أبي ربيعة، قدم له ووضع هوامشه: فايز محمد، (ط2)، دار الكتاب العربي، بيروت، (1996م).
- ابن الزبعرى، عبد الله. شعر عبد الله بن الزبعرى، تحقيق: يحيى الجبوري، (ط2)، سوريا، مؤسسة الرسالة، (1981م).
- الزبيدي، محمد مرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: إبراهيم الترزي، (د.ط)، الكويت، مطبعة الكويت، (1972).
- الزمخشري، جارالله أبو القاسم محمود بن عمر. أساس البلاغة، (ط1)، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، (1996).

- السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار المعرفة، (د.ت).
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، (د. ط)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت).
- شرح ديوان رؤبة بن العجاج، لعالم لغوي قديم، تحقيق: عبد الوهاب عوض الله، مراجعة: محمد حسن عبد العزيز، (ط1)، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (2008م).
- ابن أبي الصلت، أمية. ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق: سجيع جميل الجبيلي، (ط1)، بيروت، دار صادر، (1998م).
- الضبي، المفضل بن محم بن يعلى. المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون، (ط3)، دار المعارف، القاهرة، (1964م).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان في تفسير القرآن (المعروف بتفسير الطبري)، (ط4)، بيروت، لبنان، دار المعرفة، (1980).
- الطناحي، محمود محمد. مقالات العلامة محمود محمد الطناحي: صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب، (ط1)، بيروت، لبنان، دار البشائر الإسلامية، (2002م).
- العامري، لبيد بن ربيعة. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، (1962).
- العاملي، عدي بن الرقاع. ديوان عدي بن الرقاع العاملي، جمع وشرح ودراسة: حسن محمد نور الدين، (ط1)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1990م).

- أبو عودة، عودة خليل. التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، (ط1)، الزرقاء، الأردن، مكتبة المنار، (1985).
- أبو عودة، عودة خليل. شواهد في الإعجاز القرآني، دراسة لغوية دلالية، (ط1)، عمان، الأردن، دار البيارق، دار عمار، (1998).
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد. الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها (المعروف بالصاحبي)، تحقيق: عمر فاروق الطباع، (ط1)، (د.م)، مكتبة المعارف، (1993).
- الفخر الرازي، محمد بن عمر. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، (ط1)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، (1990).
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. كتاب العين. ترتيب ومراجعة: داود سلوم وداود سلمان العنكبي وإنعام داود سلوم، (ط1)، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، (2004).
- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن (المعروف بتفسير القرطبي)، (ط3)، (د.م)، دار الكاتب العربي، (1967).
- قطب، سيد. في ظلال القرآن، (د.ط) بيروت، القاهرة، دار الشروق، (د.ت).
- الكميت، ابن زيد الأسدي. ديوان الكميت، تحقيق: محمد نبيل طريفي، (ط1)، بيروت، لبنان، دار صادر، (2000م).
- المنجد، محمد نور الدين. الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، (ط1)، دمشق، دار الفكر، (1999).
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار صادر، (د.ت).

- ابن موسى، هارون. الوجوه، والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دائرة الآثار والتراث، وزارة الثقافة والإعلام، دار الحرية، بغداد، العراق، (1989م).
- النابغة الذبياني، زياد بن معاوية. ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، مصر، دار المعارف، (د.ت).

الكلام المستغني وبنيتاه:
الخطابية والعاملية في كتاب سيبويه

د.محمد بن حجر
جامعة المدية، الجزائر

تمهيد:

رغم أن كل الدارسين المعاصرين، لسانيين وغيرهم، مجمعون على أن النحو العربي مبني على مفهوم العامل لم نجد فيهم من تكلم عن البنية العاملية للكلام، وإنما تكلموا فقط على البنية الخطابية، وكأن الكلام لا بنية له غير ذلك، وكأنهم اعتمدوا في ذلك على قول سيبويه في (هذا باب المسند والمسند إليه): "وهما ما لا يَغْنَى واحدٌ منهما عن الآخر ولا يَجد المتكلم منه بُدًّا".

والوحيد – في علمي – الذي تكلم عن البنية العاملية بإزاء البنية الخطابية هو أ.د. عبد الرحمن الحاج صالح، الذي نبه في غير ما عمل له على وجود بنيتين للكلام، إحداهما خطابية تخص جانب الإعلام والتبليغ،" أي تبليغ الأغراض المتبادل بين ناطق وسامع"[1]، والأخرى تخص الجانب اللفظي الصوري للكلام، "أي ما يخص اللفظ في ذاته وهيكله وصيغته، بقطع النظر عما يؤديه من وظيفة في الخطاب غير الدلالة اللفظية"[2]. إلا أنه لم يبين مأخذه من كلام سيبويه.

وعليه فهل صرح سيبويه بالبنية العاملية كما صرح بالنية الخطابية ؟ أم أنها محض استنتاج من تحاليله لأضرب الكلام ؟ وإن كان صرح بها فهل تبعه النحاة

(1) بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر، 2007م. 292/1.
(2) نفس المرجع.